وحكى

المرباء كذلك قال وكان قتل أبيها قبل مبعث عيسى بن مريم عليهما السلام فبلغت همتها
ان جمعت الرجال وبذلت الاموال وعادت الى ديار ابيها وملكته وازالت جذيمة عنها وابتنت
على عراقي الفرات مدينتين متقابلتين من شرقي الفرات وغربيها وجعلت بينهما نفقا تحت
الفرات فكانت اذا رهقها الاعداء اوت اليه وتحصنت به وكانت قد اعتزلت الرجال فهي عذراء
بتول وكان بينها وبين جذيمة بعد الحرب مهادنة فحدثته نفسه بخطبتها فجمع خاصته وشاورهم
في ذلك فسكت القوم وتكلم قصير وكان ابن عمه وكان عاقلا لبيبا وكان خازنه وصاحب امره وعمود
دولته فقال ابيت اللعن ايها الملك ان الزباء امراة حرمت الرجال فهي عذراء بتول لا ترغب في مال
ولا جمال ولها عندك ثار والدم لا ينام وانما هي تاركتك رهبة وحذارا والحقد دفين في سويدا
القلب كمون كمون النار في الحجر ان قدحته وري وان تركته توارى وللملك في بنات الاكفاء متسع
فيهن ولهن فيه متسع وقد رفع الله قدرك عن الطمع فيمن هو دونك وعظم الرب شانك فما
احد فوقك هكذا حكاه ابن الجوزي وغيره **وحكى** ابن هشام شارح الدريدية ان الزباء
هي التي ارسلت تخطبه وتعرض عليه نفسها لتصل ملكها بملكه فدعته نفسه الى ذلك فشاور
وزراءه فكل واحد منهم راى ذلك مصلحة الا قصير فانه قال ايها الملك هذه خديعة ومكر
فلم يسمع منه قال ولم يكن قصيرا وانما سمي به انتهى **قال** ابن الجوزي فقال جذيمة
يا قصير الراي ما رايته وقلته ولكن النفس تواقة الى ما تحب وتهوى مشتاقة ولكل امر قدر لا مفر
منه ولا وزر فوجه اليها من يخطبها وقال له اذكر لها ما ترغب فيه وتصبوا اليه فجاءها خاطبه
فلما سمعت كلامه وعرفت مراده قالت انعم بك عينا وبما جئت به واظهرت له السرور به والرغبة
واكرمت مقدمه ورفعت موضعه وقالت قد كنت اضربت عن مثل هذا خوفا ان لا اجد كفوا والملك
فوق قدري وانا دون قدره وقد اجبت الى ما سال ورغبت فيما قال ولولا ان السعي في مثل هذا الامر
بالرجال اجمل لسرت اليه ونزلت عليه واهدت اليه هدية سنية ساقت فيها العبيد والاماء والكراع
والسلاح والاموال والابل والغنم وغير ذلك من الثياب والامتعة والجواهر شيئا عظيما فلما
رجع خطيبه اليه اعجبه ما سمع من الكلام والجواب وابهجه ما راى من اللطف الذي يحير فيه عقول
اولي الالباب وظن ان ذلك منها لحصول رغبة واعجبته نفسه وسار من فوره فيمن يثق به من خاصته
واهل مملكته وفيهم قصير خازنه **وقد** استخلف على مملكته عمرو بن عدي اللخمي وهو اول من
ملك الحيرة من اللخم وكانت مدة ملكه مائة وعشرين سنة وهو الذي اختطفته الجن وهو صبي
ثم ردته وهو شاب وكبر فالبسته طوقا من ذهب وامرته بزيارة خاله جذيمة فلما راى جذيمة
لحيته والطوق في عنقه قال شب عمرو عن الطوق فارسلها مثلا **وقال** ابن هشام انه
ملك مائة وثماني عشرة سنة **قال** ابن الجوزي فاستخلفه وسار الى الزباء فوصل على
قرية على الفرات يقال لها بقة فنزل بها وتصيد واكل وشرب واستعاد المشورة والراي
من اصحابه فسكت القوم وافتتح قصير الكلام فقال ايها الملك كل عزم لا يؤيد بحزم فالى اين
يكون كونه فلا تثق بزخرف قول لا محصول له ولا تقذف الراي بالهوى فيفسد ولا الحزم بالمنى

فيبعد

فيبعد والراي عندي للملك ان يتعقب امره بالتثبت وياخذ حذره بالتيقظ ولولا ان الامور
تجري بالمقدور لعزمت على الملك عزما بتا ان لا يفعل فاقبل جذيمة على الجماعة وقال ما
عندكم انتم في هذا الامر فتكلموا بحسب ما عرفوا من رغبته في ذلك وصوبوا رايه وقووا عزمه
فقال جذيمة الراي مع الجماعة والصواب ما رايتم فقال قصير ارى القدر سابق الحذر فلا يطاع
لقصير امر فارسلها مثلا ثم سار جذيمة فلما قرب من ديار الزباء ارسل اليها يعلمها بمجيئه فاظهرت
السرور به والرغبة فيه وامرت بحمل الميرة اليه وقالت لجندها وخاصتها اهل مملكتها وعامة
اهل دولتها ورعيتها تلقوا سيدكم وملك دولتكم فعاد الرسول اليه بالجواب واخبره بما راى وسمع
فلما اراد جذيمة ان يسير دعى قصيرا **وقال** انت على رايك قال نعم وقد ازددت رغبة
فيه فقال قصير ليس للدهر بصاحب من لم ينظر في العواقب فارسلها مثلا فقال وقد يستدرك
الامر قبل فواته **وفي** يد الملك بقية هو بها مسلط على استدراك الصواب فانك ان
وثقت بانك ذو ملك وسلطان وعشيرة واعوان فانك قد نزعت يدك من سلطانك وفارقت
عشيرتك واعوانك والقيتها في يد من لست امن عليك مكره وغدره فان كنت ولا بد فاعلا ولا تكن
تابعا فان القوم غدا يلقونك زردقا واحدا وقاموا لك صفين حتى اذا توسطتهم اطبقوا عليك
من كل جانب واحدقوا بك فتملكوك وصرت في قبضتهم وهذه العصا لا يسبق غبارها وكان
لجذيمة فرس يسبق الطير ويجاري الرياح يقال لها العصا فاذا رايت الامر كذلك فتحلل ظهرها
فهي ناجية بك اذا ملكت ناصيتها فسمع جذيمة كلامه ولم يرد جوابه وسار وكانت الزباء لما رجع
رسول جذيمة من عندها قالت لجندها اذا اقبل جذيمة غدا فتلقوه باجمعكم وقوموا له صفين عن
يمينه وشماله فاذا توسط جمعكم فتقوموا عليه من كل جانب حتى تحدقوا به واياكم ان يفوتكم وسار
جذيمة وقصير عن يمينه فلما لقيه القوم زردقا واحدا قاموا له صفين فلما توسطهم انقضوا عليه
من كل جانب وعلم انهم قد ملكوه وكان قصير يسايره فاقبل جذيمة عليه **وقال** صدقت
يا قصير فقال متى العصا فدونكها لعلك تنجو بها فانف جذيمة من ذلك وسارت به الجيوش ثم لما
راى قصير ان جذيمة قد استسلم للامر وايقن بالقتل جمع نفسه ووثب على ظهر العصا **وقال**
ابن هشام ان قصيرا قدم العصا لجذيمة ليشغل جذيمة عنها بنفسه فركبها قصير واعطاها عنانها
وزجرها فذهبت به تهوى هوي الريح فنظر اليه جذيمة وهي تتطاول واشرفت عليه الزباء من قصرها
فقالت لله ما احسنك من عروس تجلى علي وتزف الي حتى دخلوا به على الزباء ولم يكن معها في قصرها الا
جوار ابكار وهي جالسة على سريرها وحولها الف وصيفة كل واحدة لا تشبه صاحبتها في خلق ولا
زي وهي بينهن كانها قمر حفت به النجوم **قال** وكانت الزباء قد ربت شعر عانتها حولا فلما
دخل عليها جذيمة تكشفت وقالت له امتاع عروس ترى فقال بل متاع امة بظراء فامرت به فاجلس على نطع
وقيل انها لما امرت بالانطاع فبسطت وقالت لوصائفها خذوا بيد سيدكم وبعل
مولاتكن فاخذت بيده واجلسته على الانطاع بحيث تراه ويراها وتسمع كلامه ويسمع كلامها
ثم امرت الجوار فقطعن رواهشه ووضعت الطشت بين يديه فجعلت دماؤه تسحب في الطشت

Copyright © King Saud University